الدلالات الدعوية

لأسلوب القسم في القرآن الكريم

إعداد

حنان بنت منير المطيري

أستاذ مساعد قسم الدراسات الإسلامية

كلية العلوم والدراسات الإنسانية برماح جامعة المجمعة

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الثالث المجلد الخامس٢٠١٨م

الملخص

هدف هذا البحث إلى محاولة الإلمام بأسرار القسم، والوقوف على الخصائص والدلالات الدعوية في سياقها الكامل، وبيان القاسم المشترك في دلالة أسلوب القسم من الله، إما: بذاته سبحانه، أو بصفاته، أو مخلوقاته، وكذلك دلالة المقسم عليه، وكيف لفت الله أنظارنا لما أقسم به من مخلوقاته التي تحوي مشاهد ودلائل قدرته -سبحانه- من: شمس، وكواكب، وليل، ونهار، وبحار، وجبال، وما تزخر به من عظيم قدرته، وجليل نعمته، وتسخير الله لها؛ لننتفع بها، ونرسخ بها أركان الإيمان في قلوبنا.

Abstract

The purpose of this research is to try to know the secrets of the oath, to find out the characteristics and indications of the da'wa in its full context, and to indicate the common denominator in the meaning of the oath of God, either: Himself, or his qualities or creatures, The sun, the planets, the night, the day, the seas, the mountains, and the abundance of great power, and generosity of grace, and the use of God to them, to benefit them, and instilled the pillars of faith in our hearts

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الثالث المجلد الخامس٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين الذي أقسم بالقلم في محكم التنزيل، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين وخاتم النَّبيين ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

فإن القرآن الكريم هو المعين الذي لا ينضب لاستلهام العبر والعظات، والذي يلجأ إليه الداعي، ويركن إليه الساعي لرضا ربه وهو في غمار الأحداث والمستجدات التي تلم به، وهو في غمار الدعوة إلى الله، والصدوح بالحق، ودحر الباطل، يقول الله ﷻ : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1] وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[2]. وقد تعددت أساليب الدعوة في كتاب الله ﷻ ومن تلك الأساليب: أسلوب القسم، وقد ورد القسم بكثرة في كتاب الله، سواء كان في فواتح السور، أو في ثناياها.

وأسلوب القسم من الأساليب التي تناولها النحاة قديما وحديثا في كتبهم، ويلجأ إليه الناس عند الحاجة؛ لتأكيد أمر أو عهد وميثاق في كل الشعوب والضروب؛ بما هو مقدس عندهم وجليل، فكان كفار مكة: يقسمون باللات والعزى، والنصارى: بالمسيح، وهكذا..

ولا غرو أن هذا التنوع في أساليب القسم الواردة في كتاب الله مادة خصبة، تدفعنا لإمعان النظر، والتدقيق فيها، والوقوف على الخصائص والدلالات خاصة الدعوية منها؛ لنستعين بها في رحاب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، على نحو يناسب مجريات ما نعيشه من أحداث جسام تقع على كاهل الدعاة اليوم، وما يتصدون له في سبيل بيان الدعوة للناس، وإيضاح عالمية هذا الدين، ولفت نظر العالم أجمع لعظمة نظم القرآن

(١) سورة الإسراء الآية: (٨٢).

(٢) سورة يونس الآية : (٥٧).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الثالث المجلد الخامس٢٠١٨م

الكريم، كلام رب العالمين؛ إذْ لا يقسم الله إلا على جليل؛ وهذا من آيات حكمته، ودلائل قدرته العلية، ودقائق الخلائق الخفية.

ولا شك أن القرآن الكريم يحمل بين طياته كثيراً من الدلالات الدعوية، الواعظة، الداعية إلى الإيمان، المبينة طريق الصلاح والفلاح في الدينا والآخرة، متخذة في عرضها أساليب عدة منها: "أسلوب القسم".

لذا جاء هذا البحث تحت عنوان:«**الدلالات الدعوية لأسلوب القسم في القرآن الكريم**»، دارساً هذه الدلالات الدعوية في أساليب القسم في القرآن الكريم.

وتكمن أهمية الموضوع وسبب اختياري له في النقاط الآتية:

١- حاجة الساحة الدعوية إلى إلقاء الضوء على الدلالات في أسلوب القرآن الكريم، والوقوف على الدروس المستفادة منها.

٢- ضرورة الوقوف على الدلالات القرآنية، وأثرها الدعوي.

٣- ندرة ما كتب في هذا الموضوع من خلال هذا الجانب الدعوي.

٤- توجيه الخطاب للعالم الخارجي، وبيان عالمية وصالحية القرآن كمنهج يحل مشاكل العالم أجمع.

٥- فتح الباب أمام المشتغلين في مجال الدعوة الإسلامية؛ ببيان الدلالات لأساليب القرآن، لاسيما أسلوب القسم.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى: محاولة الإلمام بأسرار القسم، والوقوف على الخصائص والدلالات الدعوية في سياقها الكامل، وبيان القاسم المشترك في دلالة أسلوب القسم من الله، إما: بذاته سبحانه، أو بصفاته، أو مخلوقاته، وكذلك دلالة المقسم عليه، وكيف لفت الله أنظارنا لما أقسم به من مخلوقاته التي تحوي مشاهد ودلائل قدرته – سبحانه – من: شمس، وكواكب، وليل، ونهار، وبحار، وجبال، وما تزخر به من عظيم قدرته، وجليل نعمته، وتسخير الله لها؛ لننتفع بها، ونرسخ بها أركان الإيمان في قلوبنا.

منهج البحث:

حرصت في بحثي على استخدام المناهج الآتية:

١- المنهج الاستقرائي؛ بحيث تقوم الدراسة بشكل أساسي على استقراء أسلوب القسم في القرآن وخصائصه ودلالاته الدعوية.

٢- المنهج التحليلي؛ وذلك للاحتياج لتحليل وبيان أثر دلالة أسلوب القسم في الدعوة، وذلك وفقا لما تقتضيه طبيعة البحث وهيكل الموضوع العلمي.

٣- مدارسة بعض نماذج أساليب القسم في القرآن مع بعض التحليل، وبيان ما فيها من دلالات وخصائص دعوية.

حدود البحث:

يقتصر الباحث في الحدود الموضوعية لهذا الموضوع على: بيان الدلالات الدعوية وخصائصها لأسلوب القسم في القرآن الكريم، دارساً الجانب الدعوي لها.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع – قدر الاستطاعة – على الرسائل الجامعية والأبحاث العلمية، ومن ثمَّ الكتب المطبوعة، قد وجد الباحث بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع؛ حيث قامت بتسليط الضوء على جوانب معينة ومتفرقة من هذا الموضوع، أمَّا الدراسات والأبحاث العلمية التي تخص هذا الموضوع بالنسبة لقربها منه فبيانها فيما يلي:

١-**«دراسة بلقاسم»**: بعنوان: **«دراسة تطبيقية لأسلوب القسم في الجزء الأخير من القرآن الكريم»** بواسطة: بلقاسم، بودية، بحث محكم، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٧م.

٢-**«دراسة محمد»**: بعنوان: **«القسم وجوابه في العشر الأخير من القرآن الكريم-دراسة وصفية»**، بواسطة: محمد، إحسان إبراهيم، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية التربية، السودان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٣-**«دراسة الجمل»**: بعنوان: **«أسلوب القسم دراسة تطبيقية في جزء عم»**، بواسطة: الجمل، شريف إبراهيم بحيري، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا -كلية الآداب، مصر، ٢٠٠٨م.

٤-**«دراسة أبي جري»**: بعنوان: **«أساليب الشرط والقسم في القرآن الكريم: دراسة وصفية تاريخية»**، بواسطة: أبو جري، محمد عودة سلامة، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، كلية الآداب، مصر- القاهرة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٥-**«دراسة الشفيعي»**: بعنوان: **«الألفاظ التي جرت مجرى القسم في النصف الأول من القرآن الكريم»**، بواسطة: الشفيعي، عبد الله شحاته محمد، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس – كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مصر، ديسمبر ٢٠١٥م.

٦-**«دراسة عثمان»**: بعنوان: **«أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة نحوية وصفية تطبيقية»**، بواسطة: عثمان، الصادق علي وداعة، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، السودان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

أوجه التشابه والاختلاف بين الدراسات السابقة وهذه الدراسة:

باستقراء الدراسات السابقة، ومن خلال الوقوف على أهدافها والنتائج التي توصل إليها كل باحث في دراسته؛ يتضح لنا أوجه التشابه بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية من ناحية: المنهجية العلمية المتبعة في كل دراسة، وأن جميع الدراسات السابقة – المشار إليها – تناولت القسم في القرآن الكريم؛ إلا أنها تناولته من زوايا أخرى غير التي تتناوله الدراسة الحالية؛ إذ يتضح لنا أن أوجه الاختلاف بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية: أن الدراسة الحالية تستقرئ الدلالات الدعوية أي: أن هناك تداخل بين الدراسة الدعوية، ودراسة أسلوب القسم في القرآن الكريم، وهو ما لم تتناوله الدراسات السابقة.

تقسيمات البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس الدراسة العامة، وذلك على النحو التالي:

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الثالث المجلد الخامس٢٠١٨م

المقدمة: وتشتمل على أهمِّية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وحدوده، ومنهج البحث العلمي وإجراءاته، والدراسات السابقة، وتقسيماته.

المبحث التمهيدي: ويشتمل على التعريف بمفهوم مصطلحات البحث، وفيه مباحث:

المطلب الأول: مفهوم القَسَم.

المطلب الثاني: مفهوم الدلالة.

المطلب الثالث: مفهوم الدعوة.

الفصل الأول: أسلوب القسم ، وينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: أسلوب القسم نظرة نحوية وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: حروف القسم.

المطلب الثاني: ألفاظ تستعمل في القسم.

المطلب الثالث: جملة القسم.

المبحث الثاني: أسلوب القسم في القرآن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أنواع القسم في القرآن. (القسم بذاته–وأسمائه وصفاته–والقرآن الكريم –ومخلوقاته).

المطلب الثاني: أغراض القسم في القرآن.

الفصل الثاني: دلالات القسم.

المبحث الأول: دلالات المقسم به في القرآن وأثرها الدعوي، وينقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: دلالة المقسم به في القرآن.

المطلب الثاني: الآثار الدعوية لدلالة المقسم به.

المبحث الثاني: دلالات المقسم عليه في القرآن وأثرها الدعوي.

المطلب الأول: دلالة المقسم عليه في القرآن.

المطلب الثاني: الآثار الدعوية لدلالة المقسم عليه.

الخاتمة، وتضم:

النتائج. والتوصيات.

المراجع والمصادر.

المطلب الأول : مفهـوم القَسَـم

سيتم الحديث في هذا المطلب عن مفهوم القسم لغة واصطلاحاً، وذلك **في فرعين على النحو التالي:**

الفرع الأول: مفهوم القسم في اللغة

إن لفظ القسم تستخدمه مختلف الشعوب بأجناسها ولغاتها، قديما وحديثا؛ لتوكيد أمر ما أو عهد وميثاق، أو لحث المخاطب أو إلزامه بالقيام بأمر ما.

وبالرجوع إلى كتب اللغة وتحديدا المعاجم اللغوية نجد أن مادة (ق، س، م) لها عدة معانٍ، نتناولها على النحو التالي:

القَسَم – بفتح القاف وفتح السين –: اليمين، ويجمع على أقسام، والفعل: أَقْسَمَ. وقوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾[1] بمعنى: أقسم، والقَسامة: الْجَمَاعَة من النَّاس يشْهدُونَ أَو يحلفُونَ على الشَّيْء، وسُمّوا قَسامة؛ لأَنهم يُقْسِمون على الشَّيْء أَنه كَانَ كَذَا وَكَذَا، أَو لم يكن. وأقسمتُ بِاللَّه أُقسم إقساماً فَأَنا مُقْسِم؛ إذا حلفت، وَقد سمّت الْعَرَب: قاسماً، وقسّاماً، وقُسَيْماً، ومقسِّماً، ومِقْسَماً، وقَسيماً[2].

وعليه فإن القسم يراد به: الحلف، والقسم، واليمين، وهو ما يتضح أكثر في دراسة مفهوم القسم في الاصطلاح، إذ يبين هذا المعنى ويجليه.

الفرع الثاني: مفهوم القسم في الاصطلاح

القسم: هو يمين يقسم بها الحالف؛ ليؤكد بها شيئاً يخبر عنه من: إيجاب، أو جحد، وهو جملة يؤكد بها جملة أخرى؛ فالجملة المؤكدة هي:

---

(١) من قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١﴾ سورةالبلدالآية: (١).

(٢) انظر: جمهرةاللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، (٢/ ٨٥٢)، مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، (ص: ٧٥٢).

المقسم عليه، والجملة المؤكدة هي: القسم، والاسم الذي يدخل عليه حرف القسم هو: المقسم به، مثال ذلك: أحلف بالله أن زيدا قائم. فقولك: إن زيدا قائم، هي: الجملة المقسم عليها، وقولك: أحلف بالله، هو: القسم الذي أكدت به أن زيدا قائم، والمقسم به: اسم الله ﷻ [(١)].

(١) انظر: المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، (٤/ ٧١).

المطلب الثاني : مفهـــوم الــدلالة

سـنتناول فــي هـذا المطلـب تعريـف الدلالــة أو مفهومهـا فــي اللغــة والاصطلاح؛ حيث سأقوم بتناول مفهوم الدلالة في اللغة في فرع أول، ومفهوم الدلالة في الاصطلاح في فرع ثانٍ، وعلى النحو التالي:

الفرع الأول: مفهوم الدلالة في اللغة

دل: الدَّلُّ دلالُ المرأة إذا تَدَلَّلَتْ على زوْجها؛ والرجلُ يُدِلُّ على أقرانه في الحرب؛ يأخُذُهم من فَوق والدَّلالة: مصدر الدليل (بالفتح والكسر)[١].

وَالدّلَالَة: حِرْفَة الدَّلال. وَالدّلَالَة من الدَّلِيل. وَدَلِيل بَين الدّلَالَة [٢].

وَقَالَ ابْن الْأَعرَابِي: دَلَّ يَدُلُّ إِذا هَدَى، وقال ابْن السكّيت عَن الفرّاء: دَليلٌ من الدِّلالة والدَّلالة بِالْكَسْرِ وَالْفَتْح.

وَقَالَ شمر: دَلَلْتُ بِهَذَا الطَّرِيق دَلالةً، أَي عرفتُه، ودلَلْتُ بِهِ أَدُلّ دَلالة.

فيقال: أما تَتدَلّ على الطّريق[٣].

وقال العسكري: أن الدلالة تكون على أربعة أوجه: أولها ما يمكن الاستدلال به، وثانيها العبارة، وثالثها الشبهة، ورابعها الأمارات، والدليل فاعل الدلالة، ولهذا يقال لمن يتقدم القوم في الطريق: دليل؛ إذا كان يفعل من التقدم ما يستدلون به[٤].

فالدلالة هي: ما دل عليها الدليل، فما تدل عليه الأدلة فهي دلالات.

---

(١) انظر: كتاب العين (٨/ ٨).

(٢) انظر: جمهرة اللغة (١/ ١١٤).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٤٨).

(٤) انظر: الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة – مصر، (ص: ٦٨).

الفرع الثاني: مفهوم الدلالة في الاصطلاح

بالرجوع إلى تعريف العلماء للدلالة يلاحظ أنهم لم يخرجوا عن المعنى اللغوي، وقد سمي علم الدلالة أو الدلالة عند بعض أهل العلم بأنها: اللسانيات، ويمكن تعريف الدلالة اصطلاحاً بلفظ موجز بأنها: دراسة المعنى، ولا ينكر أحد أهمية المعنى في اللغة(١).

وعلم الدلالة في العربية: تركيب إضافي يدل دلالة الاسم على مسمى خال من الدلالة على الزمان، وهو مصطلح يدل على فرع من فروع من علم اللغة يدرس العلاقة بين الرمز اللغوي ومعناه، ويدرس تطور معاني الكلمات تاريخياً، وتنوع المعاني، والمجاز اللغوي، والعلاقات بين كلمات اللغة(٢).

ويتضح من المعنى السابق أن علم الدلالة يهتم بدلالة الرمز اللغوي (وهو هنا القسم في القرآن الكريم).

ويعرف علم الدلالة أو الدلالة اصطلاحا لدى علماء المعاجم بأنه:" فرع من علم اللغة؛ يقوم بدراسة المعنى المعجمي"(٣).

ويلاحظ أن هذا يقتصر على المفردات دون النظريات أو المركبات التي قد يتناولها علماء اللغة عند دراستهم لعلم الدلالة.

ولعل التعريف الاصطلاحي الأقرب إلى هذه الدراسة هو تعريف علماء المعاجم.

---

(١) انظر: الدلالة دراسة في المفهوم، م.د. خيري جبير الجميلي، كلية التربية للبنات، جامعة الأنبار، بحث منشور في مجلة ديالي، العدد (٢٥) لسنة ٢٠٠٧م، ، ص٦.

(٢) انظر: معجم علة اللغة النظري، إنكليزي – عربي، د. محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، ١٩٨٢م، ص: ٢٥١.

(٣) انظر: الترادف في فقه اللغة وعلم الدلالة(دراسة مقارنة)، جنوار عبدي، بحث جامعي قدم للجامعة الإسلامية الحكومية بملانج للحصول على شهادة سرجانا (1-s) في اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية والثقافية، ٢٠٠٧، ص٤١.

المبحث الثالث

مفهـــوم الدعـوة

سنتناول في هذا المطلب مفهوم الدعوة في اللغة والاصطلاح؛ حيث سأقوم بتناول مفهوم الدعوة في اللغة في فرع أول، ومفهوم الدعوة في الاصطلاح في فرع ثانٍ، وعلى النحو التالي:

الفرع الأول: مفهوم الدعوة في اللغة

لغة: إن الباحث عن مصطلح الدعوة في اللغة يجدها تنصب حول: الطلب، والحث على فعل أمر حسن، أو ترك أمر قبيح، والدَّعوة بفتح الدال: الطلب، والدعاء إلى الشيء، واستعمل لفظ الدَّعْوة في الطلب إلى حضور المأدُبة والطعام، يقال: كنا في دَعْوَةِ فلان، ومَدْعاةِ فلان، وقوله ﷻ: ﴿تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧﴾[(١)]، ليس هو كالدّعاء، ولكنّ دعوتَها إيّاهم، والتّداعي: أن يدعوَ القومُ بعضُهم بعضاً، والمؤذّن: دَاعِي الله، وفي الحديث: «اللهم رب هذه الدعوة التامة»، وَالنَّبِيّ ﷺ دَاعِي الأمّة إِلَى تَوْحِيد الله تَعَالَى وطاعته. قَالَ الله تَعَالَى مخبرا عَن الجنّ، الَّذين اسْتَمعُوا الْقُرْآن وولّوا إِلَى قَومهمْ منذرين: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٣١﴾[(٢)]، داعِي قَوْمٍ وداعِيَتُهم: أي يَدْعُوْهم إلى هُدىً أو ضَلالٍ[(٣)].

(١) سورة المعارج الآية: (١٧).
(٢) سورة الأحقاف الآية: (٣١).
(٣) انظر: العين (٢/ ٢٢١)، تهذيب اللغة (٣/ ٧٧)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٣٣٦)، لسان العرب (١/ ٤٠٠)، المحيط في اللغة (١/ ١١٥).

الفرع الثاني: مفهوم الدعوة في الاصطلاح

والدعوة إلى الله ﷻ هي طلب اتخاذ عبادته ديناً، قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [١]. وكل ما عُدّي بـ(إلى) أو باللام فهو من الدعوة إلى دين أو عمل وبعض ما هو بهذا المعنى مُعَدًّى بنفسه[٢].

تم تعريف الدعوة بعدة تعاريف اصطلاحية؛ ويرجع ذلك إلى أمرين أساسيين، وهما: سعة مفهوم الدعوة، وشمول دلالته وعمق محتواه، وتنوع معابير العلماء والكتاب والمؤلفين لمعنى الدعوة؛ وذلك يرجع لاختلاف نظراتهم وفهمهم؛ فقد قيل هي: "الدعوة إلى الإيمان بالله، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به"[٣]. وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه.

كما تعرف الدعوة بأنها: مجموعة القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه وتطبيقه، وتعرف أيضاً بأنها: قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة، وفق المنهج القويم، وبما يتناسب مع أصناف المدعوين، ويلائم أحوال وظروف المخاطبين في كل زمان ومكان[٤].

---

(١) سورة الأحزاب الآية: (٤٦).

(٢) انظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل، محمد حسن جبل، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م، (٢/ ٦٥٦).

(٣) الفتاوي الكبرى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م، ص١٥٧-١٥٨).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، ط١ (السعودية، مجمع الملك فهد، ١٤١٤هـ) ج ١٥، ص ١٥٧؛ والمدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني ط٣ (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ، ص٣٤٦.

كما عرفت الدعوة إلى الله أيضا بأنها:" الدعوة إلى دينه، وهو الإسلام الذي هو الاستسلام، والخضوع والانقياد لله رب العالمين، من خلال: الاعتقاد بأركان الإيمان الستة، وتطبيق أركان الإسلام؛ فالدعوة إلى الله تعالى لا تعني الدعوة الفئوية، أو الحزبية، أو المذهبية؛ لأن الدعوات الضيقة لا تتناسب مع سعة الإسلام وجلال رب العالمين"[١].

كما أن الدعوة في الاصطلاح تطلق ويراد بها معنيان:

المعنى الأول: دين الإسلام نفسه والمعنى الثاني: عملية نشر الإسلام وتبليغه[٢]، ومن هنا نصل إلى أن الدعوة هي: طلب الاستجابة لدين الله، وما حث عليه من الفضائل، وترك الرذائل، وأسلوب القسم من تلك الأساليب التي تلفت نظر المؤمنين إلى تلك الآيات البينات التي ترشد إلى التمسك بفضائل هذا الدين، وتحثه عليها بشتى الأساليب، وتبين أوجه رحمة الله، وأفضلية دينه على كل المناهج الضالة المضلة لعباده.

(١) فقه الدعوة، بسام العموش، ط٢، (عمان: دار النفائس، ٢٠٠٥م، ص٧).

(٢) انظر: الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد، عبدالله بن محمد بن عبدالمحسن المطوع، دارالتدمرية، الطبعة: الثالثة، السنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، (ص: ١٩).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الثالث المجلد الخامس٢٠١٨م

الفصل الأول

أسلــوب القســـم

إن الحـديث عـن دلالات القَسَـم الدعويـة فـي القـرآن الكـريم يسـتدعي بالضـرورة الحديث أولا عن أسلوب القسم، وهو ما خصصنا لـه هذا الفصـل؛ حيث سيتم فيه تبين أسلوب القسم من الناحية النحوية، وكذا أسلوب القسم في القرآن الكريم، وذلك في مطلبين، على النحو التالي:

المبحث الأول: أسلوب القسم (نظرة النحوية).

المبحث الثاني: أسلوب القسم في القرآن الكريم.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الثالث المجلد الخامس٢٠١٨م

المبحث الأول

أسلوب القسم (نظرة نحوية)

تمهيد:

لقد ورد القسم عن العرب من الجملة الإسمية، كما ورد بالجملة الفعلية، واعلم أن القسم لا يفيد وحده؛ إلا إذا انضم إليه المقسم عليه، ويتكون القسم من ثلاثة أشياء: المقسم بكسر السين، وهو: الحالف، والمقسم به، والمقسم عليه، وعليه: فجملة القسم ضرب من الخبر؛ يؤكد الأمر الثابت، والمنفي؛ طالما احتاج السياق إليها، واقتضى حال السامع لذلك.

وسوف نتناول أسلوب القسم من الناحية النحوية في ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: حروف القسم.

المطلب الثاني: ألفاظ تستعمل في القسم.

المطلب الثالث: جملة القسم.

المطلب الأول : حـــروف القـــسم

الأصل في جملة القسم الفعلية أن تتصدر بفعل ملفوظ به أو مقدر؛ يدل بصريحه على القسم، وذلك هو الفعل: (أقسم)، أو الفعل: (أحلف)، وكل منهما فعل لازم يقتضي حرفاً يوصل معنى القسم إلى المقسم به، وإنما يتحقق ذلك بحرف من أحرف القسم، ومن ثم عبر عنها سيبويه بـ(حروف الإضافة إلى المحلوف به) [١].

وللقسم خمسة حروف، وهي: (الباء، الواو، التاء، اللام، مِن . مُن)

المطلب الثاني: ألفاظ تستعمل في القسم.

وللقسم أفعال، وتسمى: فعل القسم، وقد تكون صريحة أو مضمرة، وتلك الأفعال هي: أقسم، أحلف، أيمن الله، لعمرك، عمرك الله، قعدك الله.

والمشهور منها في الإستعمال: أقسم، أحلف، فيقال: أقسم بالله، أحلف بالله.

أقسم:

قـــال الله تعـــالى علـــى لســـان إبلـــيس: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [٢]، ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [٣]، وقال: ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴾ [٤]، وقال: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [٥].

---

(١) انظر: أسلوب القسم وملامح التوكيد به، خليل بن إبراهيم بن عبدالرحمن، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، المجلد ٢ العدد ٣١، جامعةالأزهر – كلية اللغة العربية بالمنصورة.٢٠١٢ م، (ص: ٣١٣).

(٢) سورة الأعراف الآية: (٢١).

(٣) سورة الأعراف الآية: (٤٩).

(٤) سورة إبراهيم الآية: (٤٤).

(٥) سورة النور الآية: (٥٣).

أحلف:

فقال الله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ (١).

وقال: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (٢).

وقال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ (٣).

أما عن الألفاظ الأخرى؛ فمثل:

لعمرك:

إن هذا اللفظ يستعمل في القسم، ومعنى (العَمْر) الحياة، وهو (العُمْر) و(العُمُر) شيء واحد، يقال قد طال عُمْره وعُمُره، ويستعمل في القسم المفتوح ليس غير فيقال.

وكذلك (لعمر الله) أي: أقسم ببقاء الله ودوامه. قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ (٤)، فأقسم بحياة الرسول ﷺ (٥).

أيمن الله:

تستعمل (أيمن الله) في القسم، يقال: (أيمن الله لا ردن عليه قوله) وهمزتها همزة وصل، وقد اختلف في (أيمن) هذه فقيل هو: مفرد مشتق من (اليمين) ، وهو: البركة، أي: بركة الله يمين.

وعند الكوفيين هو: جمع (يمين) ، جعلت همزة القطع فيه وصلا؛ لكثرة الاستعمال. وقد تصرفوا بهذه الكلمات لكثرة الاستعمال فقالوا: (أيمن الله) و (أيم

(١) سورة النساء الآية: (٦٢).
(٢) سورة التوبة الآية: (٥٦).
(٣) سورة المجادلة الآية: (١٨).
(٤) سورة الحجر: الآية (٧٢).
(٥) انظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دارالفكرللطباعة والنشروالتوزيع – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، (٤/ ١٦٥).

الله) بحذف النون، و (مُ الله) و(من ربي)، وغير ذلك؛ لأن كثرة دوران الكلمة على الألسنة مدعاة إلى التصرف فيها تخفيفاً[١].

عمرك الله:

هذا التعبير يستعمل قسماً وغير قسم، فمن استعماله في القسم قولك: (عمرك الله) لأفعلن بفتح الهاء، وقد يستعمل في قسم السؤال، فيقال (عمرك الله لا تفعل)، ومعنى (عمرك الله): استحلفك بتعميرك الله؛ أي: بإقرارك له بالبقاء[٢].

قعدك الله:

يستعمل هذا في القسم فيقال: (قعدك الله لتفعلن) ويقال أيضا: (قعيدك الله).

وقد اختلف في معنى (قعدك الله)، فقيل: إن معناها أسألك بحق قعدك الله؛ أي: بحق نسبتك إياه إلى القعود؛ أي: الدوام، والتمكن.

وقيل المعنى: (أسألك بحق قعيدك الذي هو الله)، ومعنى (قعدك): قعيدك؛ أي: ملازمك، العالم بأحوالك، وهو الله، فـ (الله): عطف بيان لقعدك، ويؤيد هذا التأويل، قولهم: (قعيدك الله) بمعناه؛ فالقعد والقعيد بمعنى: المقاعد؛ كالحلف، والحليف.

وقيل معنى (قعدك الله وقعيدك): الله معك؛ أي: رقيب عليك وحفيظ، وقيل: مقاعدك، وهو بمعناه، وضمن معنى القسم، قال في الصحاح: على معنى يصاحبك الله الذي هو صاحب كل نجوى، وقيل: هما مصدران بمعنى: المراقبة، والتقدير: أقسم بمراقبتك الله، ونصب الجلالة في الجميع على إسقاط الجار[٣].

---

(١) انظر: معاني النحو(٤/ ١٦٥).

(٢) انظر :معاني النحو(٤/ ١٦٥).

(٣) انظر: البديع في علم العربية، مجد الدين أبوالسعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، تحقيق: فتحي أحمدعلي الدين، جامعةأم القرى،مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، (٢/ ٧٥٣). معاني النحو،

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الثالث المجلد الخامس٢٠١٨م

المطلب الثالث

جمـلة القســم

تتكون جملة القسم من فعل القسم وفاعله، ولا بد أن تكون فعلية؛ سواء أذكر الفعل أم حذف؛ ولا بد لجملة القسم من جملة بعدها، تسمى: "جواب القسم"، ويأتي جواب القسم على عدة جمل :

١- اذا كان الجواب جملة خبرية وغير تعجبية إما: تأكيد المراد من جملة تجيء بعدها، وإزالة الشك في معناها؛ نحو: أقسم بالله "لا أنقاد لرأي يجافي العدالة".

٢- إن كان الجواب جملة مضارعة مثبتة؛ فالأغلب الأقوى: اقتران مضارعها باللام ونون التوكيد معاً؛ نحو:" والله لأحبسن يدي ولساني عن الأذى"، ومن القليل الجائز: الاقتصار على أحدهما.

فإن كانت الجملة مضارعة منفية؛ لم يزد عليها شيء إلا أحد حروف النفي الثلاثة التي يكثر دخولها على الجواب المنفي، مثل: "والله ما أحبس يدي ولساني من محاربة المنكر"، "والله إن أحبس يدي ولساني"، "والله لا أحبس يدي ولساني"، ومن هذا قول الشاعر:

رقي، بعمركم لا تهجرينا

٣- إن كان الجواب جملة إسمية مثبتة؛ فالأحسن اقترانه بحرفين معاً، هما: "إن- ولام الابتداء في خبرها"، نحو: "والله إن الغدر لأقبح الطباع"[(١)].

(١) انظر: النحو الوافي، عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، دارالمعارف، الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة، (٢/ ٤٩٨: ٥٠٠).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الثالث المجلد الخامس٢٠١٨م

المبحث الثاني

أسلوب القسم في القرآن

بعد أن تحدثنا في المبحث السابق عن أسلوب القسم من الناحية النحوية؛ نتحدث عن أسلوبه في القرآن الكريم؛ فنتحدث عن أنواع القسم المذكورة في القرآن الكريم، وكذا أغراضه، وذلك في مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول: أنواع القسم في القرآن.

المطلب الثاني: أغراض القرآن الكريم.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الثالث المجلد الخامس٢٠١٨م

المطلب الأول : أنواع القسم في القرآن

عند الرجوع إلى آيات القسم في القرآن الكريم نجد أنها جاءت بعدة أنواع، نذكرها على النحو التالي:

أولا: القسم بذات الله سبحانه وتعالى:

إن المتتبع لآيات القسم في القرآن الكريم يجد أن الآيات التي كان فيها القسم بذات الله سبحانه وتعالى جاءت في ثمانية مواضع، وكلها جاءت في مقام زجر المعاندين لدين الله، الواقفين أمام شريعته؛ حيث تحمل المخاطبين بها على الخوف من عذاب الله. وهذه المواضع نذكرها فيما يلي:

- **الموضع الأول:** في قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1].
- **الموضع الثاني:** قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[2].
- **الموضع الثالث:** ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[3].
- **الموضع الرابع:** قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ﴾[4].
- **الموضع الخامس:** قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ۖ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة النساءالآية: (٦٥) .
(٢) سورة يونس الآية: (٥٣).
(٣) سورة الحجر الآيات: (٩٢ – ٩٣).
(٤) سورة مريم الآية: (٦٨).
(٥) سورة سبأ الآية: (٣).

•**الموضع السادس:** ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [١].

•**الموضع السابع:** قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ [٢].

•**الموضع الثامن:** قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ ﴾ [٣].

ثانيا: القسم بأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى:

كما أن المتتبع لآيات القسم في القرآن الكريم يجد أن هناك نوع آخر من أنواع القسم؛ حيث ورد فيها القسم بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته.

فأما الآيات التي جاء القسم فيها بأسماء الله تعالى فهي في موضعين فقط من القرآن الكريم هما:

•**الموضع الأول:** قوله تعالى: ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [٤].

•**الموضع الثاني:** قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ ﴾ [٥].

أما عن القسم بصفاته تعالى فإن من أمثلتها: ما ورد على لسان إبليس في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [٦].

(١) سورةالذاريات الآية: (٢٣).
(٢) سورةالمعارج الآيات: (٤٠ – ٤١).
(٣) سورة التغابن الآية: (٧).
(٤) سورة النحل الآية: (٥٦).
(٥) سورة النحل الآية: (٦٣).
(٦) سورة ص الآية: (٨٢).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الثالث المجلد الخامس٢٠١٨م

ثالثا: القسم بالقرآن الكريم:

كما نجد أن من أنواع القسم في القرآن الكريم القسم بالقرآن الكريم نفسه، ومن المواضع التي ذكر فيها ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣﴾ (١).
- وقوله: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢﴾ (٢).
- وقوله: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ (٣).
- وقوله: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ (٤).
- وقوله: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ (٥).

رابعا: القسم بالمخلوقات:

والنوع الرابع من أنواع القسم هو: القسم بمخلوقاته سبحانه؛ وهنا يظهر المدلول الدعوي جليا؛ فالكل يقف أمام بديع صنع الله في الكون والآفاق موقف العاجز الذي يتلقف ما يفسر له أسرار الكون الفسيح الذي يراه دون أن يعلم عنه إلا ما تراه عينه؛ فيفتح الله عيون المخاطب على مكنونات السموات والأرض؛ ولذلك كانت سبباً وباباً عظيماً لإسلام كثير من علماء الطبيعة؛ إذ إن ولوجهم هذا الباب الواسع من العلم جعلهم يجدون من الآيات والشواهد الكونية ما يدلهم على الخالق القدير، والصانع البديع؛ الذي يستحق العبادة دون سواه؛ لقد تنوعت تلك الدلالات الدعوية من القسم بالنجوم الكنس، والسماء

(١) سورة يس الآيات: (١-٣).
(٢) سورة ص الآيات: (١، ٢).
(٣) سورة ق الآية: (١).
(٤) سورة الزخرف الآيات: (١ – ٤).
(٥) سورة الدخان الآيات: (١ – ٣).

والطارق، وغيرها من آيات القسم؛ فجميعها تذيب ذلك الجمود الفكري، وتسحب العقل والفكر للتحرر من مورثات الجهل، ومواضع التهلكة، والدفع بها في طريق الحق الواضح المعالم، ودرب السائرين إلى الله.

لقد تعدد ت المخلوقات التي أقسم بها تعالى ومنها ما يلي:

- قسمه سبحانه بالسماء في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾ (١).
- وقسمه سبحانه بالنجوم في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ (٢).
- وقسمه سبحانه بمواقع النجوم في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ (٣).
- وقسمه سبحانه بالملائكة في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١﴾(٤).
- وقسمه سبحانه بالرياح، والسحاب، والسفن، والملائكة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾(٥).

(١) سورة الذاريات، الآية (٧).
(٢) سورة النجم، الآية (١).
(٣) سورة الواقعة، الآية (٧٥).
(٤) سورة الصافات، الآية (١).
(٥) سورة الذاريات: الآيات (١-٤).

المطلب الثاني: أغراض القسم في القرآن

تتنوع أغراض القسم في كتاب الله باختلاف الحال والمقام للمخاطب؛ فقد تأتي للفت نظر المؤمن المصدق الواثق الإيمان؛ ليرقى بفكره، وليتم صدقه في مدارج السير إلى الله ﷻ فيرسخ به إيمانه، وتعلو همته في السير إلى الله، وقد تأتي تهديداً ووعيداً، وزجراً ورادعا للكافرين المعاندين لدينه؛ المتمسكين بأذيال الجاهلية الأولى، وقد تكون للمترددين عن الحق؛ فتفزعهم آيات القسم التي توعدهم الله تعالى فيها؛ فيندفعون نحو الحق، ويتخلصون مما أثقلهم من ملذات الحياة الدنيا.

وبناء على ما سبق يمكن إجمال أغراض القسم في عدة نقاط وهي:

١- تحقيق الخبر وتوكيده؛ ليكون أوقع في التلقي، وأرجى للقبول، ومن أمثلة ذلك:

- كقولـــــه تعـــــالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾[(١)].
- وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾[(٢)].
- وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾[(٣)].

إن كل تلك الآيات جاءت لتؤكد عقيدة الجزاء، وتوصلها إلى النفس بشتى الطرق[(٤)].

---

(١) سورة يونس الآية: (٥٣).
(٢) سورة الحجر الآيات: (٩٢-٩٣).
(٣) سورة سبأ الآية: (٣).
(٤) انظر: سورةالواقعةومنهجهافىالعقائد، محمودمحمدغريب، دارالتراثالعربي-القاهرة، الطبعة: الثالثة - ١٤١٨هـ - ١٩٨٨م، (ص: ١٥٨).

٢- بيان شرف المقسم به، وعلو قدره؛ حتى يعرف الناس مكانته عند الله، ورفعة منزلته لديه.

ومن أمثلة ذلك:

• القسم بحياة النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [١].

•وقوله تعالى مبينا شرف القرآن وقدره: ﴿ صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾ [٢].

٣- توجيه النظر إلى الآيات الكونية، والمشاهد الطبيعية؛ للتَّنْبِيهَ عَلَى شَرَفِ ذَوَاتِهَا وَكَمَالِ حَقَائِقِهَا، إذ تَكُونُ الْحِكْمَةُ فِي الْقَسَمِ بِهَا التَّنْبِيهَ عَلَى جَلَالَةِ دَرَجَاتِهَا، وَكَمَالِ مَرَاتِبِهَا[٣].

ومن ذلك القسم بالسماء وبنائها، وبالنفس وخلقها[٤] كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[٥].

فهو هنا يبن عظم تلك المخلوقات وجلالة درجتها.

٤- أنه سبحانه وتعالى يقسم ببعض مخلوقاته يرشد إلى أن خالقها واحد هو الله تعالى وحده، فيحصل التوحيد.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ ﴾[٦].

---

(١) سورة الحجر الآية: (٧٢).

(٢) سورة ص، الآية: (١).

(٣) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ، (٢٦/ ٢١٥).

(٤) انظر: الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا،محيى الدين ديب مستو، دارالكلم الطيب / دارالعلوم الانسانية–دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م، (ص: ٢٠٧، ٢٠٨).

(٥) سورة الشمس الآيات: (١ – ١٠).

(٦) سورة الصافات الآيات: (١ – ٥).

ففي هذه الآيات يبين أن انتظام أحوال السموات وَالْأَرْضِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِلَـهَ وَاحِـدٌ.، فَهَهُنَـا لَمَّـا قَـالَ: إِنَّ إِلهَكُـمْ لَواحِـدٌ أَرْدَفَـهُ بِقَوْلِـهِ: رَبُّ السَّـماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَرَبُّ الْمَشارِقِ؛ كَأَنَّهُ قِيلَ: قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ النَّظَرَ فِي انتظام هذا العالم يدل على كونه إِلَه وَاحِدًا؛ فَتَأَمَّلُوا فِي ذَلِكَ الدَّلِيلِ لِيَحْصُلَ لَكُمُ الْعِلْمُ بِالتَّوْحِيدِ[1].

ولهذا سلك طائفة من النظار طريق الاستدلال بالزمان على الصانع وهو استدلال صحيح قد نبه عليه القرآن[2].

(١) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (٢٦/ ٢١٥).

(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن، محمدبن أبي بكربن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،تحقيق: محمدحامدالفقي، دارالمعرفة،بيروت،لبنان، (ص: ١٨، ١٩).

الفصل الثاني

دلالات القســم

إن القسم كما علمنا يتكون من جملتين: جمله المقسم به، والمقسم عليه (جواب القسم) وكلا الجملتين فيها من الدلالات ما فيهما، وبالرجوع إلى القسم في القرآن الكريم نجد أن دلالاته كثيرة، سواء الدلالات بوجه عام أو الدلالات الدعوية بشكل خاص.

فالمقسم في القرآن الكريم هو الله تعالى العظيم القادر؛ وفي هذا دلالة على أن ما يقسم به عظيم له أهميته؛ يستدعي من الإنسان الوقوف عنده، والاهتمام به، وتأمل ما بعده من المقسم عليه؛ والذي لاشك أن له أيضا دلائل وأهمية لا تقل عن المقسم به.

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله –" فهو سبحانه يقسم على أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها"[(١)].

والذي يظهر من كلام ابن القيم أنه اعتمد في تفسير أقسام القرآن على أصلين: الأول: أن الله تعالى إنما أقسم بنفسه وآياته، وأن القسم بالمخلوقات أيضا من باب القسم بذاته فإنها من آياته.

إن الله أراد بهذا الأصل: إزالة شبهة تعظيم المخلوق فوق مكانته، بناء على القول بأن القسم يتضمن تعظيم المقسم به.

قال ابن أبي الإصبع: القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع؛ لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل.

الأصل الثاني: هو أن الأقسام كلها دلالات على المقسم عليه؛ ولهذا جاء القسم في القرآن على أمور: كالمعاد، والتوحيد، والرسالة؛ تأكيداً للمنكرين.

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن، (ص: ٣، ٤).

وفسر ابن القيم أكثر آيات القسم على طريق يظهر به دلالة المقسم به على القسم عليه، وإذا أشكل عليه الربط جعل المقسم عليه محذوف، وجعل القسم دالا على صفات الله وغيرها[١].

وفي هذا الفصل سنتناول ما جاء في بعض آيات القسم في القرآن الكريم من دلالات دعوية؛ سواء في المقسم به، أو المقسم عليه وذلك في مبحثين على النحو التالي:

المبحث الأول: الدلالات الدعوية في المقسم به.

المبحث الثاني: الدلالات الدعوية في المقسم عليه.

(١) انظر:علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، عدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م، (ص: ٢٤٧، ٢٤٨).

المبحث الأول

دلالات المقسم به في القرآن وأثرها الدعوي

إن المتأمل والمتمعن في بعض آيات القسم الواردة في الذكر الحكيم؛ تأخذه الدهشة والانبهار حين يجد أن أسلوب القسم في تلك الآيات فيه دلالات دعوية؛ إذ تشير إلى أساليب دعوية يمكن للداعية استخدامها في الدعوة إلى الله؛ وربما غفل عنها الكثير من الدعاة إلى الله ﷻ في حين أن هذه الأساليب من أنجح الأساليب في الوصول إلى الغاية مع المدعو؛ حيث تذهب بالمدعو إلى شيء يبرز جلال الله وعظمته في خلقه له ولبقية المخلوقات؛ فيسهل مهمة الداعي في إيصال المفهوم الدعوي الذي يريد إيصاله للمدعو؛ لأن ذلك قد مهد له الطريق؛ بأن أوصل المدعو به إلى عالم يتفق فيه مع الداعي في جلال وعظمة خلقه؛ بعيدا عن المختلف فيه مع المدعو؛ فيسلم له وجدانه، ويشنف عن أذنيه؛ فيسلك معه ضرب طريق الحق؛ ذلك أنه لا يوجد أحد لا يرى عظيم وبديع آلاء الله من: شموس، وكواكب، وما تزخر به من عظيم نعمه.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الثالث المجلد الخامس٢٠١٨م

المطلب الأول : دلالة المقسم به في القرآن

إن هناك العديد من الدلالات الدعوية التي جاءت في بعض آيات القسم، وسنحاول معرفتها من خلال تناول بعض تلك الآيات فيما يلي:

- قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ ﴾ [(١)].

إن المقسم به في هذا الآية هو: ذات الله ﷻ ، ذي الجلال والإكرام، سبحانه وتعالى يقول أبو جعفر الطبري في تفسيره: يقول تعالى ذكره:" ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على إعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة؛ استهزاء بوعدك إياهم وتكذيبا لخبرك، قل لهم: بلى تأتيكم وربي، قسما به لتأتينكم الساعة"[(٢)].

أوجب ما بعد النفي ببلى على معنى: أن ليس الأمر إلا إتيانها، ثم أعيد إيجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد، وهو التوكيد باليمين بالله ﷻ ، ثم أمد التوكيد القسمي إمدادا بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به، إلى قوله ﴿ لِيَجۡزِيَ ﴾[(٣)] لأنّ عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدّة ثباته واستقامته، لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر، وكلما كان المستشهد به أعلى كعبا وأبين فضلا وأرفع منزلة، كانت الشهادة أقوى وآكد، والمستشهد عليه أثبت وأرسخ.

---

(١) سورة سبأ الآية: (٣).

(٢) انظر: تفسيرالطبري، محمدبن جريربن يزيد بن كثيربن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م، (٣٤٩/٢٠).

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ٥ ﴾ [سبأ الآيات: ٤ – ٥].

فإن قلت: هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى؟ قلت: نعم وذلك أن قيام الساعة من مشاهير الغيوب، وأدخلها في الخفية، وأوّلها مسارعة إلى القلب: إذا قيل عالم الغيب، فحين أقسم باسمه على إثبات قيام الساعة، وأنه كائن لا محالة، ثم وصف بما يرجع إلى علم الغيب، وأنه لا يفوت علمه شيء من الخفيات، واندرج تحته إحاطته بوقت قيام الساعة، فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا. فإن قلت: الناس قد أنكروا إتيان الساعة وجحدوها، فهب أنه حلف لهم بأغلظ الأيمان وأقسم عليهم جهد القسم، فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما أنكروه؟ قلت: هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهي قوله ﴿ لِّيَجۡزِيَ ﴾ فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء، وأن المحسن لا بدّ له من ثواب، والمسيء لا بد له من عقاب[(١)].

وقد ورد هذا الأسلوب بهذه الصيغة، من أن الله قد أقسم بذاته، وأمر نبيه ﷺ أن يقسم بذات الله ﷻ في ثلاث آيات لا رابع لها[(٢)] في هذه الآية التي نحن ندرسها قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ ﴾[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣ ﴾[(٤)].

(١) انظر: تفسيرالزمخشري، أبوالقاسم محمود بن عمروبن أحمد،الزمخشري جارالله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دارالكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ، (٣/ ٥٦٧، ٥٦٨).
(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن، (ص: ١٤).
(٣) سورة سبأ الآية: (٣).
(٤) سورة يونسالآية: (٥٣).

وقولـه تعـالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ ﴾[١].

فالقسم يجعل الشخص ينتبه وينتفض ويركز لما هو آت، وبقدر المقسم به لدى الشخص، ينظر في المقسم عليه، فيقول الشعراوي: وما دام قد قال الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ قل: ﴿إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾ فهم إن لم يؤمنوا فسوف يلقون العذاب؛ لأنه ليس هناك مَنْجًى من الله تعالى، ولن تُعْجِزوا الله هرباً، ولن تعجزوه شفاعة من أحد، ولن تعجزوه بيعاً، ولن تعجزوه خُلَّة تتقدم لتشفع لكم[٢].

وفي هذا أيضاً دلالة دعوية أخرى تتمثل في: أن على الداعية حال دعوته للناس إن رام تحقيق غايته، وبلوغ مراده، في إبلاغ دعوته، وتأثر مدعويه بها: أن يكون غزير العلم، قوي الحجة؛ حتى يستطيع أن يدحض الشبهات، ويبين الحقائق المزيلة للالتباس؛ إذ إن ذلك يكون أسرع الطرق لإقناع المدعو بما يريد.

كما أن من الدلالات الدعوية للقسم في هذه الآية؛ أن الله سبحانه وتعالى لم يكتف بالقسم؛ بل أردفه بما يعين على اكتمال الفكرة التي أراد إيصالها؛ مما يعني أن على الداعي أن لا يجتزئ الفكرة والموضوع الذي يريد إيصاله إلى المدعو؛ حتى لا يجعل المدعو في منتصف الطريق، بل عليه أن يبين فكرته كاملة بوضوح.

كما أن من الدلالات الدعوية في هذه الآية الكريمة كذلك: أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ في قوله ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ بأن يرد عليهم كلامهم، وأكده

(١) سورة التغابن الآية: (٧).
(٢) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، (٥٩٨٧/١٠).

باليمين جرياً على عاداتهم[١]؛ وفي هذا دلالة واضحة على أن على الداعي إلى الله أن يدرس حال المدعوين، وعاداتهم وتقاليدهم؛ ليستعين بها عند الحاجة إليها في دعوته لهم؛ سواء كان قولاً، أو فعلاً؛ لأن في ذلك مجاراة لما هو مألوف عندهم؛ فتكون استجابتهم له أيسر وأسهل.

جدير بالذكر أن هذا الأسلوب وبهذه الصيغة التي يقسم فيها الله تعالى بذاته، ويأمر نبيه ﷺ بأن يقسم بذات الله ﷻ أيضاً؛ قد وردت في ثلاث آيات لا رابع لها [٢]؛ وهي: هذه الآية التي تناولنا دلالاتها الدعوية، وهي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ ﴾[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣ ﴾[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧ ﴾[٥].

- ومن الآيات أيضا قول الله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣ ﴾[٦].

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة برهان الدين الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت، (٩٢٥/٢).
(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن، (ص: ١٤).
(٣) سورة سبأ الآية: (٣).
(٤) سورة يونس الآية: (٥٣).
(٥) سورة التغابن الآية: (٧).
(٦) سورةالذاريات الآية: (٢٣).

فمن كمال الإعجاز البلاغي في هذه الآية: أنه سبحانه وتعالى قدم المقسم عليه (جواب القسم) على القسم؛ حتى جعل المفسرين يختلفون في المقسم عليه، وهذا من أعظم وأبلغ الأقسام في القرآن الكريم

فحين يسمع السامع (المدعو) {فورب السماء والأرض}، ويقسم الرب – تعالى شأنه–بمقام الربوبية، وهو من الحقائق الراسخة في قلوب البشر جميعاً حتى صناديد الكفر يعترفون لله بخلق السموات والأرض، وقد تكرر ذلك المعنى في كتاب الله: {ولئن سألتهم من خلق السموات} .. وتكون الإجابة: {الله}؛ فيرقى ويثبت إيمان المؤمن المصدق، ويتحرك وجدان الكافر المعاند أن الرب الذي: خلق، ورزق، وأحيا، وأمات، هو من يستحق مقام الألوهية دون غيره من المخلوقات الحادثة؛ فيتحرك كيانه بداخله، من هذا القسم، وذلك لأن المِقسم هو: رب السماء والأرض، والمقسم به هو: رب السماء والأرض، والمقسم عليه: ما قاله رب السماء والأرض، فلا تجد النفس المؤمنة إلا إيمانا يزداد على الإيمان من هذا القسم، حتى أن النفوس الكافرة تجدها قد حصل في نفوسهم ما يهز كيانهم نحو الإيمان بقول رب السماء والأرض.

●ومن الآيات أيضاً قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾[1] أي: لنجمعنهم في المعاد، يعني: المشركين المنكرين للبعث مع الشياطين، وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة.

وفائدة القسم أمران: أحدهما: أنَّ العادة جارية بتأكيد الخبر باليمين.

والثاني: أنَّ في قسم الله – تعالى – باسمه مضافاً إلى رسول الله ﷺ رفعاً منه لشأنه، كما رفع من شأن السماء والأرض في قوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[2]. والواو في «والشَّياطين» يجوز أن تكون للعطف، وبمعنى «مع» وهي بمعنى «مع» أوقع. والمعنى، أنهم يحشرون مع قرنائهم من

(١) سورة مريم الآية: (٦٨).
(٢) سورة الذاريات الآية: (٢٣).

الشياطين الذين أغروهم.﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ أي: نحضرهم على أذل صورة لقوله: «جِثِيًّا» لأنَّ البارك على ركبتيه صورته الذليل، أو صورة العاجز[1].

وفي هذا دلالة على أنه يجوز للداعي أن يحلف لتأكيد قوله المستند إلى الكتاب أو السنة الصحيحة؛ إذ إن كل ما ورد فيهما حق، يجب تصديقه، فالقرآن كلام الله الذي تكفل بحفظه من التحريف كل ما فيه يجب تصديقه ويجوز للداعية الحلف به، كما أن السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ يجب التصديق بها، ويجوز الحلف على ما ورد فيها؛ لأنها صادرة عن من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

(١) اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، (١٠٨/١٣).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الثالث المجلد الخامس٢٠١٨م

المطلب الثاني : الآثار الدعوية لدلالة المقسم به

المقسم به في القرآن الكريم عموماً وبذات الله ﷻ خاصة، لها آثار دعوية على النفوس، والناس سواء المسلمين، أو غير المسلمين، ولا بد للدعاة إلى الله ﷻ أن يعلموها حتى يتسنى لهم الوصول إلى الغاية من الدعوة من خلال أسلوب القسم.

ويمكن إجمال هذه الآثار في النقاط التالية:

١- أن الله حين يقسم بجليل خلقه فهو يفتح عين المعاند لدعوته على أشياء يتجلى فيها عظيم خلقه، وكمال قدرته؛ فتلين نفسه، ويسهل الولوج إليها، فتهتز من داخلها، وتبدأ بالاستجابة للداعي إلى الخير.

٢- كمال الحجة وتأكيدها : وذلك أن الحكم يفصل باثنين: إما بالشهادة، وإما بالقسم، فذكر سبحانه في كتابه هذين النوعين حتى لا يبقى لهم حجة[(١)].

٣- أن القسم لا يكون إلا باسم معظم[(٢)] فالمقسم به في القرآن الكريم وهي: ذات الله ﷻ ، أو أسماءه أو صفاته، أو مخلوقاته؛ هي بالنسبة للبشر أشياء عظيمة؛ فالله ﷻ يقول حين أقسم بمواقع النجوم: إنه قسم عظيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾[(٣)].

٤-قسم الله بمصنوعاته؛ لأنها تدل على بارئها وصانعها، قال ابن أبي الإصبع في أسرار الفواتح: القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع؛ لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل؛ إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل[(٤)].

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، عبدالرحمن بن أبي بكر،جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمدأبوالفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، (٤/ ٥٣).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، (٤/ ٥٤).

(٣) سورة الواقعة الآيات: (٧٥، ٧٦).

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن، (٤/ ٥٥).

٥- بيان منزلة النبي محمد ﷺ ؛ فقد أقسم الله ﷻ بحياته في قوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [(١)]؛ لتعرف الناس عظمته عند الله، ومكانته لديه سبحانه وتعالى، وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: ما خلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفسا أكرم عليه من محمد ﷺ ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره[(٢)].

٦- بيان فضل الله ﷻ على الخلق؛ فالمقسم به يكون وجهين: إما لفضيلة، كقوله: ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ ﴾[(٣)].

وإما لمنفعة، نحو: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ ﴾[(٤)].

٧- كما أن من آثار الدلالات الدعوية: أن الداعية إلى الله سيعلم أن على عاتقه مسؤولية إيصال الدعوة إلى المدعو واضحة وجلية مسنودة بالدليل الذي يدحض الشك باليقين؛ الأمر الذي يعني أن عليه الاستزادة من مختلف العلوم؛ لكي يتمكن من امتلاك الحجة الدامغة التي تقنع المدعو بصدق وصحة ما يريد إيصاله له.

٨- أن الداعية مطالب بدراسة أحوال المدعوين حتى يتمكن من إيصال فكرته إليهم بالطريقة التي يحبونها، أو يألفونها.

٩- أن الدعوة إلى الله مرت بمراحلها الأولى بصعوبات جمة، كان من أبرزها إنكار وجحود المشركين رغم ما يجدونه من آيات وشواهد على وحدانية الله تعالى وأحقيته وحده بالعبادة؛ فأقسم الله بذاته أو أسماءه أو صفاته أو مخلوقاته؛ ليلفت انتباههم لأمور عظيمة، وفي هذا دلالة على مدى معاندة أصحاب الباطل من المشركين للحق وأصحابه، لكن صبر

(١) سورة الحجر الآية: (٧٢).
(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، (٤/ ٥٥).
(٣) سورة التين الآيتين: (٢ – ٣).
(٤) سورة التين الآية: (١).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الثالث المجلد الخامس٢٠١٨م

النبي ﷺ كان أقوى من عنادهم؛ إذ استمر بدعوته لهم محاولاً استخدام كافة الوسائل لإيصال الحق إلى قلوبهم دون يأس أو قنوط، وهو ما يجب على الداعية أن يفهمه اليوم من أنه مأمور بالتأسي بخير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أمره الله ﷻ أن يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يتحلى بالصبر في مواجهة ما يلاقيه من صد أو نفور أو غيره من قبل المدعوين.

١٠-أن الداعية يتعلم من بعض آيات القسم أن عليه أن لا يجزئ الفكرة التي يريد إيصالها للمدعو حتى لا يجعله في حيرة من أمره؛ وإنما ينبغي عليه الإحاطة بكل جوانب الموضوع الذي يطرحه، واستعداده للرد عن أي سؤال يثيره المدعو أثناء دعوته.

المبحث الثاني

دلالات المقسم عليه في القرآن وأثرها الدعوي

بعد أن تناولنا في المبحث الأول دلالات المقسم به وآثارها الدعوية نتناول في هذا المبحث دلالات المقسم عليه في القرآن الكريم، والذي يكون على أمور الإيمان؛ فيقول ابن القيم: والمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك: كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها، فأما الأمور الظاهرة المشهورة: كالشمس، والقمر، والليل، والنهار، والسماء، والأرض، فهذه يقسم بها، ولا يقسم عليها، وما أقسم عليه الرب فهو من آياته؛ فيجوز أن يكون مقسماً به ولا ينعكس [(١)].

وقول ابن القيم: وما أقسم عليه الرب فهو من آياته؛ فيجوز أن يكون مقسماً به ولا ينعكس، معناه: أن المقسم عليه يجوز أن يقسم به الله ﷻ، فالله سبحانه وتعالى يقسم بالقرآن، وعلى القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿حٰمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [(٢)].

أما ما أقسم به فمنه ما يقسم عليه، ومنه ما لا يقسم عليه: كالشمس، والقمر، والليل، والنهار.

وللمقسم عليه دلالات دعوية لا يمكن للدعاة إلى الله ﷻ أن يغفلوا عنها؛ إذ إن المقسم عليه يعتبر هو النتيجة لجملة القسم التي يجب أن تصل إلى المدعوين بالشكل والأسلوب الذي ورد به القسم في القرآن؛ لأن ذلك أوقع في النفوس، وأشد تأثيراً.

وسيتم تناولها في مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول: دلالات المقسم عليه الدعوية في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: الآثار الدعوية للمقسم عليه.

---

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن، (ص: ٢).

(٢) سورة الزخرف الآيات: (١ – ٤).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الثالث المجلد الخامس٢٠١٨م

المطلب الأول : دلالة المقسم عليه الدعوية في القرآن

إن من الآيات التي سوف نتحدث على ما فيها من الدلالة الدعوية ما يلي:

- قولـــه تعـــالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [(١)].

فالمقسم عليه في هذه الآية هو: السؤال عما كان يفعله الإنسان، وقد أقسم الله سبحانه في هذه الآية بنفسه باسمه تعالى (الله)، كما أنه سبحانه قد أقسم بذاته على هذا السؤال في قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [(٢)].

فحين تصل إلى المدعو فكرة أن الله ﷻ قد أقسم وحلف أنه سيسألك عما تفعل؛ سيكون هذا أشد تأثيرا على نفس المدعو، وأكثر رهبة وخوفاً من عقاب فعلته.

ووقت السؤال يكون في الآخرة فيقول الرازي: وفي وقت هذا السؤال احتمالان:

الأول: أنه يقع ذلك السؤال عند القرب من الموت ومعاينة ملائكة العذاب، وقيل: عند عذاب القبر.

الثاني: أنه يقع ذلك في الآخرة، وهذا أولى؛ لأنه تعالى قد أخبر بما يجري هناك من ضروب التوبيخ عند المسألة؛ فهو إلى الوعيد أقرب [(٣)].

فالقسم من الله ﷻ على السؤال يوم القيامة للناس جميعا عما كانوا يعملون، وللمفترين منهم عما كانوا يفترون [(٤)].

---

(١) سورة النحل الآية: (٥٦).
(٢) سورة الحجر، الآيات: (٩٢ – ٩٣).
(٣) انظر: تفسيرالرازي، (٢٠/ ٢٢٤).
(٤) انظر: تفسيرالشعراوي، (١٣/ ٧٧٧٩).

فالقسم هنا: به وعيد شديد لمن افترى على الله؛ فتناله الرهبة من الافتراء على الله ﷻ فيكون من الله على وجل؛ فيحتاط لجميع عمله حين يعلم أن الله ﷻ قد أقسم على سؤاله يوم القيامة عما بدر منه؛ فهذا يجعل المدعو أحوط فيما يعمل في هذه الدنيا، فحين يعلم أنه سيسأل عما يفعل في هذه الدنيا يوم القيامة؛ فهذا يجعله ينظر فيما يعمل؛ فإذا أخبر أن الله سبحانه وتعالى قد أقسم على هذا الأمر؛ فيجعله أحوط عما إن كان جاءه الخبر من غير قسم الله سبحانه وتعالى.

- ومن آيات القسم ذات الدلالة الدعوية قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥﴾[1].

ففي هذه الآية يقسم الله ﷻ بتلك الغيبيات من خلقه، وهم: الملائكة؛ ليلفت نظر المخاطب إلي أنه من صف الملائكة وخلقها بتلك الهيئة، وكان العرب يحملون داخل أنفسهم إجلالاً عظيماً وكبيراً للملائكة؛ فيتخيل السامع هذا المشهد العظيم، ثم يقسم الله على التوحيد، وهو أصل الدين ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤﴾.

وقد قيل: إن المقسم به في هذه الآية هو: خالق هذه الأشياء، فيقول الرازي:

قول من يقول المقسم به هاهنا خالق هذه الأشياء لا أعيان هذه الأشياء.

والقول الثاني: قول من يقول إن القسم واقع بأعيان هذه الأشياء، وأن القسم وقع بهذه الأشياء بحسب ظاهر اللفظ؛ فالعدول عنه خلاف الدليل [2].

(١) سورة الصافات الآيات: (١ – ٥).
(٢) انظر: تفسير الرازي، (٢٦/ ٣١٦).

فهذه الأقسام كلها لبيان التوحيد؛ أي أن المقسوم عليه هنا هو: التوحيد ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤﴾؛ فالداعية حين يشعر المدعوين بهذه الأقسام التي أقسم بها تعالى؛ فإنهم يتأثرون أكثر بالمقسم عليه، فمن وقع من المسلمين في شيء من أنواع الشرك من غير علم به، لا شك أنه حين يقول له الداعية: لقد أقسم الله على التوحيد عدة أقسام؛ تجد أنه قد كان له وقعا شديدا على نفسه، فيتأثر أشد التأثير ويقوده ذلك إلى التوبة والإنابة.

كما أنه تعالى لما أقسم بهذه الأشياء على صحة قوله تعالى: إن إلهكم لواحد ذكر عقبه، ما هو كالدليل اليقيني في كون الإله الواحد، وهو قوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥﴾[1].

وقد أورد الرازي وجه آخر: بأن المقسم به هم الدعاة إلى الله ﷻ فقال: أن المراد من قوله: والصافات صفا الصفوف الحاصلة من العلماء المحقين؛ الذين يدعون إلى دين الله تعالى، والمراد من قوله: فالزاجرات زجراً اشتغالهم بالزجر عن الشبهات، والشهوات، والمراد من قوله تعالى: فالتاليات ذكراً اشتغالهم بالدعوة إلى دين الله، والترغيب في العمل بشرائع الله[2].

ونحن نرى أن هذا المشهد المهيب من مشاهد الغيب؛ تلقي في نفس السامع رهبة ووجلا شديدين؛ يجعله يتسمر مكانه، فيشعر بضآلته، وكيف أنه شذ عن مفردات هذا الكون الفسيح، ثم يفيق على قضية التوحيد: إن إلهكم لواحد؛ فتنخلع نفسه، ويهتز وجدانه لقسم الله علي تلك القضية، وهي: قضية التوحيد بنوعيه توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية؛ فيحدث ذلك أثرًا عظيما في نفس المخاطب.

(١) انظر: تفسيرالرازي، (٢٦/ ٣١٦).
(٢) انظر: تفسيرالرازي، (٢٦/ ٣١٥).

• ومن آيات القسم التي فيها دلالة دعوية قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾[1].

لا شك أن سورة العصر من سور القرآن الكريم، التي على قصر آياتها؛ تمس شغاف قلوب القارئ لها؛ لشدة التناسب بين المقسم به والمقسم عليه، ومناقشتها لقضية تشغل بال الناس جميعا على وجه المعمورة على مر العصور، وهي: غاية خلق الناس، ورحلتهم في البحث عن الحياة الطيبة، والمنهج الذي يركنون إليه فتهدأ أنفسهم، ولا يكون كالبندول، وما سمي الناس ناساً إلا لحركتهم كالنوس، وهي: الضفيرة المرتجة، فحلت لهم تلك الكلمات الضئيلة في اللفظ، العظيمة في القدر؛ فحكمت على الجميع بالخسران، ثم فتحت نافذة للأمل بالاستثناء؛ لإخراج من ارتكن إلى الإيمان وتمسك به، ودعمه، وعمل به وتواصى مع غيره على الصبر في وجه أعاصير الطغيان؛ إذ إن تلك هي شروط الخروج من الخسران.

فحين يعلم السامع أن الله سبحانه وتعالى قد أقسم بخلق من خلقه وهو العصر الذي هو الدهر؛ الذي هو ذو شأن؛ فإنه يعجب من ذلك كل العجب! من المقسم به والمقسم عليه؛ إذ إن الله ﷻ على حاله أقسم بالزمان والمقسم عليه هو خسارة الإنسان؛ فكان هذا القسم منه سبحانه خوفا على الإنسان من ذلك الخسران؛ مبينا سبحانه وتعالى الطريق الصحيح؛ لتجنب هذا الخسران؛ بقوله في قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾.

وفي هذا دلالة على مدى خوفه سبحانه ورأفته بعباده يبين لهم طريق الخسران ويرشدهم إلى طريق النجاة من ذلك الخسران، وهذا يعني: أن على

(١) سورة العصر، الآيات (١ – ٣).

الدعاة أن يبينوا عند دعوتهم للناس الشيء ونقيضه؛ أي: يبينوا لهم ما هو باطل ومحرم، وما هو حق وحلال؛ ليقيموا عليهم الحجة، وهذه دلالة عامة.

أما الدلالة الخاصة فهي أن على الدعاة أن يبثوا في المدعوين بأن الله سبحانه وتعالى قد أقسم حبا لهم وخوفا عليهم؛ وأن عليهم أن يستشعروا ذلك الحب؛ فيتجنبوا هذا الخسران؛ الذي سيكون فيه الإنسان إن لم يكن من الذين آمنوا بالله، وببقية أركان الإيمان، فضلا عن عمل الصالحات، والتواصي بالحق فيما بينهم، والتواصي بالصبر.

كما يتضح لنا من تلك الآيات: أنها ناقشت قضية الوجود عند البشر جميعا، فأرشدت إلى عدم التردي في الواقع المادي، الذي يهلك البشر جميعا؛ إلا من أبى أن يسلك الطريق الصحيح، الذي ينقذه من ذلك الخسران ويوصله إلى الحياة الطيبة التي يبحث عنها.

كما أن سورة العصر وما أقسم به الله وأقسم عليه يدل على ضرورة تلازم الإيمان والعمل الصالح وكذا الصبر؛ إذ إن الإيمان دون عمل لا ينفع، والإيمان والعمل قد يؤديان إلى حصول الابتلاء وكثرة إغراء الباطل؛ مما يستلزم معه التواصي بالثبات على الحق، والصبر على المغريات والابتلاءات، وإذا كانت هذه الأمور واجبة على المؤمن ومأمور بها ليتخلص من الخسران؛ فإن الداعية تكون في حقه أوجب، وعليه أن يبينها لغيره من الناس؛ ليجنبهم الوقوع في الخسران – العياذ الله منه.

المطلب الثاني :الآثار الدعوية لدلالة المقسم عليه

مما لا شك فيه أن الله حين يقسم على شيء من خلقه؛ يريد من السامع والمتلقي لكلامه أن يتحرر من جهالة وضحالة الفكر، وجمود العقل، وأن ينحي كل موانع تحرير ذلك العقل جانباً؛ لينطلق في آفاق تخرجه من مورثات الشرك إلى رحاب الإيمان بالله الواحد، ويمكن إجمال هذه الآثار في النقاط التالية:

١- لفت نظر الدعاة لقضية القسم في القرآن الكريم وما تحمل في طياتها من لطائف تدعو لإعمال الذهن وتحرير الفكر والنظر في آفاق الكون من بدائع صنع الله.

٢- أن أغلب الآيات التي أقسم الله فيها بذاته أو أسماءه أو صفاته أو مخلوقاته ؛ كان المقسم عليه هو التوحيد؛ وهذا دليل على أهميته، وعلى ضرورة اهتمام وتركيز الدعاة عليه في دعوتهم للناس.

٣- أن المقسم عليه إنما أقسم عليه لبيان أهمية الخلق كما في قسم سورة العصر، ومآله حال ابتعاده عن طريق الإيمان والعمل الصالح، والثبات على الحق، وعدم صبره على الابتلاء.

٤- أن ما أقسم عليه أرجا لاتباع المدعوين؛ خاصة عندما يقسم بأمور يلمسها الناس في واقعهم، ولا يكاد يختلف عليها اثنان؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾[1]. فكلها آيات ظاهرة لا اختلاف عليها بين الناس كافرهم ومؤمنهم عالمهم وجاهلهم؛ مما يعني أن الداعية عندما يخاطب المدعو بما لا يختلف معه عليه؛ يستطيع أن يمهد لقبول دعوته وفكرته.

(١) سورة الشمس الآيات: (١ – ١٠).

٥- أن على الداعية أن يعدد في أساليب الدعوة؛ فلا يحصر الدعوة في مقام الوعظ والإرشاد فقط؛ بل عليه أن ينوع من أساليبه؛ فهناك عدة أساليب، كما فعل إبراهيم عليه السلام مع قومه فذهب بهم لما كانوا يقدسون من كواكب، ثم بدأ ينفض الغبار عن عقولهم؛ لتظهر حقيقة ما كان يعبدون من دون الله.

الخـاتمـة:

بعد شكر الله على كريم عطاءه، وعظيم بمنه بأن وفقني لإتمام هذا البحث الذي لا أقصد به نهاية المطاف في دراسة هذا الموضوع الواسع الممتع، بل بداية البداية؛ وذلك لأنَّ الباب مفتوح أمام الباحثين؛ لينهلوا من هذا البحر الزَّاخر الفياض؛ الذي لا تنتهي عجائبه، ولا تنفد معارفه، ولا يستطيع أحد أن يحيط بأسراره إلَّا الله سبحانه وتعالى.

إن قراءة ما في الكون من آيات كونية؛ يلفت الله الأنظار إليها؛ إذ يقسم بها ﷻ؛ لنمعن النظر فيها، للبحث فيما حوته من دلائل وإشارات دعوية، تعمل على إرشاد الدعاة وإعانتهم في تحقيق غايتهم من ترسخ للإيمان في نفوسهم وفي نفوس مدعويهم من المسلمين، وكذا جمع شتات النفس التي ترتع في غياهب الجهل بالله الحق؛ لتتعرف عليه من خلال مخلوقاته، وتتعلم كيف تعبده وتدعوه، من خلال تدبرها في كتاب الله المنظور، على خطى كتابه المحفوظ في الصدور؛ فتنار النفس بنوره، ويرسخ التوحيد في وجدانها؛ فتحيا حياة طيبة في الدنيا، وتؤول إلى نعيم الله الدائم في الآخرة.

ومن خلال تناولنا لأسلوب القسم في القرآن الكريم في هذا البحث؛ خرجنا بعدد من النتائج، والتوصيات يمكن إيجازها في النِّقاط التَّالية:

أولاً: النتائج:

١- أن القرآن الكريم بحر واسع؛ لا تنقضي عجائبه، وهو هبة الله تعالى للغة العربية التي نمت وترعرعت في رحابه؛ ناهلة منه ما يهذب هجنها، ويرسخ قواعدها، فهو مرجعها، وملاذها؛ لتقويم اللسان، وتوحيد البنيان اللغوي، وبحرها الزاخر بالمواعظ والحكم، والهدايات للخلق.

٢- أن الله سبحانه وتعالى يقسم بما شاء من خلقه، ولا يحق للخلق إلا أن يقسموا به.

٣- أن القسم في القرآن الكريم جاء لبيان حكمة إلهية؛ وجب تدبرها؛ للكشف عن كتاب الله المنظور الذي لا يحتاج إلا تقليب النظر في مشاهده الكونية التي تحيط بالبشر من كل جانب؛ فقد حوت مشاهد عظيم قدرته، وجل إتقان صنعته.

٤- أن على الدعاة الاستفادة من الدلالات الدعوية للقسم، ومواكبة لغة العصر

مع الحفاظ على ثوابت الدين التي لا مثيل لها في مواكبة علوم العصر التي تكشف دوما عن عظمة هذا الدين الكريم، كما أن عليهم الخروج بالخطاب الديني نحو العالمية مستفيدين من كل ما أثبته العلم الحديث من حقائق كشفها القرآن قبل مئات السنين؛ خاصة تلك الآيات التي أقسم الله بها وعرض فيها حقائق كونية أثبتها العلم الحديث؛ كمدارج السموات، ودركات الأرض.

٥- أن على الدعاة أن يستزيدوا من العلم حتى يكون ذلك سلاح كبير يعينهم على إقاة الحجة، ودحض الشبهة، وإقناع المدعو بسهولة ويسر.

٦- أن على الدعاة أن يدرسوا أحوال المدعوين، فيخاطبونهم بما يتناسب وأفهامهم، ومستوياتهم.

٧- أن على الدعاة أن يتأسوا بحبيب الخلق ﷺ في الدعوة إلى الله فتكون دعوتهم للناس بالحكمة والموعظة الحسنة.

٨- أن طريق الدعاة إلى مليء بالعقبات والابتلاءات من مغريات ومكاره وعليه أن يصبر، وألا ييأس من صلاح المدعو وامتثاله للحق، مما تأخر ذلك.

٩- أن على الداعي الخروج عن الأساليب الدعوية القديمة التي لا تتناسب حياة اليوم؛ مستخدماً ومستفيداً من جمل القسم بمشاهد الكون التي تتجلي في كل مكان من المعمورة من حوله، والتي لا تحتاج إلا إلى لفت نظر المدعو إليها؛ كقسمه سبحانه بآيات الكون الباهرة التي لا يختلف عليها الناس باختلاف الفكر، أو الدين، أو العرق .

ثانيا: التوصيات

أما عن التوصيات التي نرجو أن تتحقق في هذا الموضوع؛ فيمكن إيجازها في النقاط التالية:

١-أن على الدعاة أن يلجوا مقامات القسم، في القرآن الكريم ويتبحروا في دلالاتها الدعوية؛ وفي بقية الأساليب القرآنية؛ لاستخدمها في خدمة مقاصد الدعوة إلى الله.

٢-وجوب اشتغال الباحثين بالدراسات حول هذا الموضوع لبيان الدعوة في أسلوب القسم.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- **الإتقان في علوم القرآن**، عبدالرحمن بن أبي بكر ،جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
٣- **أسلوب القسم وملامح التوكيد به**، خليل بن إبراهيم بن عبدالرحمن، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، الناشر :جامعة الأزهر – كلية اللغة العربية بالمنصورة، ٢٠١٢م.
٤- **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْ جِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١.
٥- **البديع في علم العربية**، مجدالدين أبوالسعادات المبارك بن محمدبن محمد بن محمد ابن عبدالكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، تحقيق:فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
٦- **التبيان في أقسام القرآن**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٧- **تفسير الشعراوي**، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧ م.
٨- **تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

٩- **تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أوالتفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
١٠- **تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** (٣/ ٥٦٧، ٥٦٨)، أبوالقاسم محمود بن عمرو بن أحمد،الزمخشري جارالله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دارالكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
١١- **تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن** (٢٠/ ٣٤٩)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبوجعفرالطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٢- **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
١٣- **جمهرة اللغة**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
١٤- **الجيم**، أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني (المتوفى: ٢٠٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
١٥- **الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد**، عبدالله بن محمد بن عبدالمحسن المطوع، دار التدمرية، الطبعة: الثالثة،السنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
١٦- **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب

الأرنـؤوط – محَمَّـد كامِـل قـره بللـي، دار الرسـالة العالميـة، الطبعـة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
١٧- **سـورة الواقعـة ومنهجهـا فـى العقائـد**، محمـود محمد غريـب، دارالتراث العربي–القاهرة، الطبعة: الثالثة – ١٤١٨هـ – ١٩٨٨م.
١٨- **الصحاح تـاج اللغـة وصحـاح العربيـة**، أبـو نصـر إسماعيل بـن حمـاد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
١٩- **صحيح أبي داود – الأم**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نـوح بـن نجـاتي بـن آدم، الأشـقودري الألبـاني (المتـوفى: ١٤٢٠هـ)، مؤسسة غراس للنشر والتوزيـع، الكويـت، الطبعـة: الأولـى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٢٠- **علـوم القـرآن مـدخل إلـى تفسـير القـرآن وبيـان إعجـازه**، عـدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
٢١- **العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، الفراهيدي، البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقيـق: مهـدي المخزومـي، إبـراهيم السـامرائي، دار ومكتبـة الهلال.
٢٢- **الغريـب المصـنف**، أبـو عُبيـد القاسـم بـن سـلاّم بـن عبـد الله الهـروي البغـدادي (المتـوفى: ٢٢٤هـ)، تحقيـق: صـفوان عـدنان داوودي، مجلـة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية.
٢٣- **الفروق اللغويـة**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة – مصر.

٢٤- **الكتاب**، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبوبشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، تحيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبةالخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٥- **اللباب في علل البناء والإعراب**، أبوالبقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ)، تحقيق: عبدالإله النبهان، دارالفكر-دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.
٢٦- **مجمل اللغة لابن فارس**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٢٧- **المخصص**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٢٨- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٩- **معاني النحو** (٤/ ١٦٥)، فاضل صالح السامرائي، دارالفكرللطباعةوالنشروالتوزيع-الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٣٠- **المعجم الاشتقاقي المؤصل**، محمد حسن جبل، مكتبة الآداب- القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.
٣١- **النحو الوافي**، عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، دارالمعارف، الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة.
٣٢- **الواضح في علوم القرآن**، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، دارالكلم الطيب/ دارالعلوم الانسانية - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.